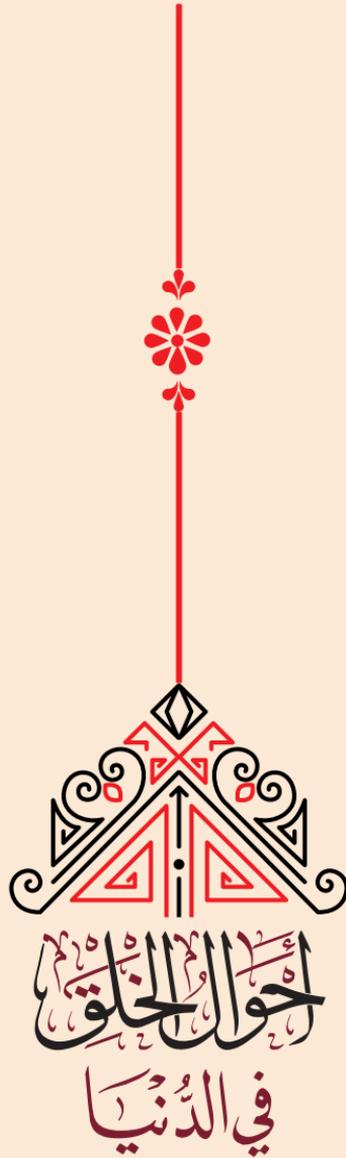




الحمد لله رب العالمين في الدنيا



الشيخ العلامة ابن عبد البر الزرعي



الحال الجموع

في الدنيا

أحوال الملوك
في الدنيا

الشيخ
أبو بصير بن عبد الله المزروعى

شبكة نون للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

www.baynoona.net



@BaynoonanetUAE



@Baynoonanet



www.baynoona.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أما بعد؛

فإننا نحمد الله عَزَّجَلَّ على نعمة الإسلام، ونسأل الله عَزَّجَلَّ أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ذلك في موازين أعمالنا يوم القيامة، كتابة اليوم بعنوان: «أحوال الخلق في الدنيا».

أحوال الناس في الدنيا، يقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ أَلْئَامٌ يَمَسُّونَ فِيهَا لَآئِبَةً وَأُولَئِكَ يَلْمِزُونَ أَوْلِيَاءَهُمْ فِي مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧ - ٨]، ويقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ [يونس: ٩]،

والله عَزَّجَلَّ خلق الخلق، فمنهم كافر ومنهم مؤمن كما قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التَّغَابُنُ : ٢]، فالإنسان في هذه الدنيا مسافر إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كتب له، الأيام والليالي مراحل لسفر هذا الإنسان، لا يزال يطويها مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر، العاقل من جعل كل مرحلة نصب عينيه، فيهتم بقطعها سالما غانما، فإذا تيقن قصر هذه المراحل في الدنيا، وتيقن سرعة انقضائها هان عليه العمل، الناس في قطع هذه المراحل في الدنيا قسمان:

القسم الأول: قطع وهم مسافرين إلى دار الشقاء كلما قطعوا مرحلة قربوا من تلك الدار وبعثوا عن ربهم وعن دار كرامته، قطعوا تلك المراحل بمساخط الرب عَزَّجَلَّ، ومعادة رسله وأوليائه ودينه، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصَّف : ٨] ،

هؤلاء شر خلق الله، جعلت أيامهم ولياليهم مراحل يسافرون فيها إلى الدار التي خلقوا لها واستعملوا بها، فهم مصحوبون فيها بالشياطين الموكلة بهم يسوقونهم إلى منازلهم في النار سوقاً، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُودُهُمْ أُزًّا ﴾

[مریم: ٨٣].

القسم الثاني: قطعوا تلك المراحل سائرین فيها إلى الله وإلى دار السلام وهؤلاء ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات بإذن الله، هؤلاء الثلاثة الأصناف كلهم مستعدون للسير، موقنون بالرجعة إلى الله لكنهم متفاوتون في التزود متفاوتون بتعبئة الزاد واختياره وفي نفس السير وسرعته وبطئه، كما قال الله

عَزَّجَلَّ عَنْهُمْ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٢٣]،

سعي العبد وحركته في هذه الحياة أربعة أنواع: سعي لجلب نفع مفقود كالكسب، أو لحفظ موجود كالادخار، أو لدفع ضرر لم ينزل كدفع الصائل المعتدي، أو لإزالة ضرر قد نزل كالتداوي من المرض، الإنسان في الحقيقة متوجه من الدنيا إلى الآخرة ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب، ومن دار العمل إلى دار الجزاء، ومن الدار الفانية إلى الدار الباقية، ومن السعادة الجزئية أو الشقاوة الجزئية إلى السعادة الكلية أو الشقاوة الكلية، فالخير كله بحذايره في الجنة والشر كله بحذايره في النار، الناس قادمون على ربهم ومجزيون بأعمالهم، كما قال الله **عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ**

إِنَّا إِيَّاهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]، فسعيد وشقي ورابح وخاسر ومكرم ومهان، كل حسب عمله فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله، وفرح مسرور وشقي محزون، مسوق إلى الجنة أو مسوق إلى النار،

١٤

قال عَزَّجَلَّ: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ [الرُّوم : ١٤ - ١٦]، الناس

في الدنيا فريقان: المؤمن والكفار، الإيمان له شعب ولأهله صفات، وأهل الإيمان ثلاث درجات: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات، الكفر له شعب ولأهله صفات وأهله درجات، وهم متفاوتون في الشقاء حسب أعمالهم، كما أن المؤمنين متفاوتون في النعيم حسب أعمالهم، وموعد الجميع يوم الفصل، قال عَزَّجَلَّ:

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُعِيٌُّّ وَسَعِيدٌ ﴿١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٦﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ ﴿١٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُورٍ ﴿١٨﴾

[هُود : ١٠٥ - ١٠٨]، النعيم والعذاب في الدنيا والآخرة مبني على العمل في الدنيا، فمن آمن وعمل صالحا فله السعادة في الدنيا والآخرة، ومن كفر بالله فله الشقاء في الدنيا والآخرة.

من خلال هذه الكتابة نتعرف على حال هؤلاء الأصناف الأربعة من الخلق من الناس، نعرف حال هؤلاء الأشقياء لنحذر من سوء أعمالهم حتى لا نكون معهم في الآخرة، نتعرف على حال هؤلاء السعداء الأصناف الثلاثة الأخرى ليقنّدي العبد بهم وبالسابقين إلى الخيرات، فنذكر أحوال الأصناف الأربعة من الناس في هذه الدنيا ومصيرهم في الآخرة ليختار كلُّ منا حاله من هذه الأحوال الأربعة، فما هي أحوال الخلق في هذه الدنيا؟ حال الأشقياء وحال الظالم لنفسه من المؤمنين، وحال المقتصد من المؤمنين، وحال السابق بالخيرات؟
أولا: حال الأشقياء، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٦)

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٦﴾

[البقرة: ١٦٦ - ١٦٧] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ

أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْنَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ

فَسَقُونَ ﴿[الأحقاف: ٢٠]، فالكفار والمشركون والمنافقون

لا حظَّ لهم في الآخرة، وأما في الدنيا فهم يتمتعون

يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم، هؤلاء

كالأنعام التي فقدت العقول حيث آثروا ما يفنى

على ما يبقى، لن يستفيدوا من عقولهم وأسماعهم

وأبصارهم بل هم أضل من البهائم السائمة، إن

البهائم مستعملة فيما خلقت له ولها أذهان تدرك بها

مضرتها من منفعتها فهي أحسن حالا منهم، وهؤلاء

خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له ووهبهم الله عَزَّوَجَلَّ

الأفئدة والأسماع والأبصار لتكون عوناً لهم على

القيام بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها على معصية الله

والصدّ عن سبيله ومحاربة أوليائه ودينه، وغفلوا عن
أنفع الأشياء وأحسنها من الإيمان بالله وطاعته وذكره،
هؤلاء جديرون بأن يكونوا ممن ذرأ الله لجهنم وخلقهم
لها وهم بأعمال أهلها يعملون، كما قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَقَدْ
ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ
بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ
كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿ [الأعراف : ١٧٩]،

قطع هؤلاء الأشقياء مراحل أعمارهم في الصدّ عن
ذكر الله **عَزَّجَلَّ**، فاستحق هؤلاء بهذه الجنایات والكبائر
أشد العقوبات وهو العذاب المؤلم أشد الألم في النار،
بطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم وما لهم أحد ينصرهم
من عذاب الله ولا يدفع عنهم من نعمته مثقال ذرة، قال
عَزَّجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَّا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا
وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿
[فاطر : ٣٦]، نسأل الله **عَزَّجَلَّ** وإياكم العفو والعافية.

الصنف الثاني من أحوال الخلق في الدنيا: حال الظالم

لنفسه، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]، أورث

الله تبارك وتعالى هذه الأمة الكتاب المهيمن على سائر الكتب، فمنهم الظالم لنفسه بالمعاصي التي هي دون الكفر، ومنهم المقتصد الذي اقتصر على فعل الواجبات وترك المحرمات، ومنهم السابق بالخيرات الذي سبق غيره في الأعمال الصالحة، كل هؤلاء الأصناف الثلاثة من المؤمنين اصطفاهم الله عَزَّوَجَلَّ لورثة الكتاب وإن تفاوتت مراتبهم، تميزت أحوالهم فلكلّ منهم قسط من وراثته حتى الظالم لنفسه فإن معه أصل الإيمان وعلم الإيمان وأعمال الإيمان،

من تجراً على المعاصي واقتحم على الإثم ظلم نفسه بحملها على معصية الله، ثم استغفر الله استغفاراً تاماً يستلزم هذا الاستغفار الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع عنه والعزم على ألا يعود إليه، فهذا قد وعده الله الذي لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة، فالسائرون إلى الله وإلى دار كرامته ظالمهم قطع مراحل عمره في غفلاته وإيثار شهواته ولذاته على مرضاة الرب وأوامره مع إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لكن نفسه مغلوبة معه مأسورة مع حظّه وهواه، هو يعلم سوء حاله يعترف بتفريطه وكثرة معاصيه، يعزم على الرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، الظالم لنفسه مقصر في الزاد غير آخذ منه ما يبلغه المنزل لا في قدره ولا في صفته بل هو مفرط في زاده الذي ينبغي له أن يتزوده، ومع ذلك فهو متزود بما يتأذى به في طريقه، الظالم لنفسه يستقبل مرحلة يومه وليلته

وقد سبقت حظوظه وشهواته إلى قلبه، حركت جوارحه طالبة لها، فإذا زاحمتها حقوق ربه تارة وتارة فمرة يأخذ بالرخصة ومرة يأخذ بالعزيمة، ومرة يقدم على الذنب وترك الحق تهاونا ووعدا بالتوبة، فهذا حال الظالم لنفسه مع حفظ التوحيد والإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر مع التصديق بالثواب والعقاب، فإذا ورد هذا العبد يوم القيامة ميز ربحه من خسرانه، كان الحكم للراجح منهما حكم الله **عَزَّجَلَّ** من وراء ذلك، لا يعدم منه فضله وعدله، الذين معهم أصل التوحيد والإيمان إذا خلطوا الأعمال صالحة بالأعمال السيئة من التجرؤ على بعض المحرمات والتقصير في بعض الواجبات مع الاعتراف بذلك والرجاء بأن يغفر الله لهم هؤلاء عسى الله أن يتوب عليهم، كما قال **عَزَّجَلَّ**: ﴿ **وَعَاخِرُونَ** **أَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَعَمَلًا خَائِبًا وَعَسَىٰ أَن يَكُونَ** **عَلَيْهِمْ** **إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٠٢].

الصف الثالث من الخلق في الدنيا وبيان أحوالهم:
 حال المقتصد ، كما قال عَزَّجَلَّ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
 الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ
 مُّقْتَصِدٌ ﴾ [فاطر : ٣٢]، في الصحيحين: جاء رجل إلى
 رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله عن الإسلام، فقال رسول
 الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » قَالَ:
 هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: « لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ »، فَقَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ » قَالَ: هَلْ عَلَيَّ
 غَيْرُهُ؟ قَالَ: « لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ »، قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ
 اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ:
 « لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ »، فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أُزِيدُ
 عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «
 أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»^(١)، وفي رواية: « دخل الجنة إن
 صدق »، هذا المقتصد اقتصر من الزاد على ما يبلغه،

(١) رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

لم يشد مع ذلك أعمال التجارة الرباحة، لم يتزود ما يضره هو سالم غانم لكن فاتته المتاجر الرباحة، أنواع المكاسب الكثيرة أدّى وظيفة تلك المرحلة في الدنيا لم يزد عليها ولا نقص منها، لا حصل على أرباح التجارة ولا بخس الحق الذي عليه، هذا هو المقتصد، والمقتصد من أصحاب اليمين الذين يستمتعون في الجنة بما لذ وطاب من النعيم المقيم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عَرَبًا أَرَبَاتٍ ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الوَاقِعَةُ: ٢٧ - ٤٠]، هذا حال المقتصد.

أما الصنف الرابع: فهم السابقون بالخيرات، فما هو حالهم في هذه الدنيا؟ الله عزَّوجلَّ قال عنهم:

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ

﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ [الْوَاقِعَةُ : ١٠ - ١٤] ،

والله عَزَّوَجَلَّ قال عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١٠﴾

﴿١٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿ [المُؤْمِنُونَ : ٥٩ - ٦١] ،

السابقون في الدنيا إلى الإيمان والأعمال والخيرات هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات، هم المقربون عند الله في جنات النعيم في أعلى عليين، هم الذين يعطون من أنفسهم مما أمروا به من كل ما يقدرون عليه من صلاة وزكاة وصيام وحج وطاعات وأعمال صالحة، ومع هذا قلوبهم وجلة وخائفة عند عرض أعمالها على ربها والوقوف بين يديه سبحانه وتعالى خشية أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله لكمال علمهم بربهم، وما يستحقه من أنواع العبادات، هؤلاء همهم ما يقربهم إلى الله وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذاب الله،

كل خير سمعوا به أو سنحت الفرصة إليه انتهزوه وبادروه، يسارعون إلى كل خير يسابقون في كل عمل صالح ينافسون في كل ما يقربهم إلى الله ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ الخيرات تشمل جميع الطاعات والفرائض والنوافل من صلاة وصيام وزكاة وصدقات وحج وعمرة وجهاد ونفع خاص وعام، السابقون هم أعلى الخلق درجات وأعلاهم مقامات، السابق بالخيرات هم في تحصيل الأرباح شد أحمال التجارات لعلمه بمقدار الربح الحاصل، يرى خسرانا أن يدخر شيئاً مما بيده ولا يتجر به، يجد ربحه يوم يغتبط التجار بأرباح تجارتهم، يرى خسرانا بينا أن يمر عليه وقت في غير متجر في غير تجارة رابحة في غير زاد من التقوى، يرى خسرانا إذا مر عليه ذلك اليوم مرت عليه تلك الساعة وهو لم يربح في تجارته مع الله عز وجل.

هؤلاء ثلاثة الأصناف الثاني والثالث والرابع من الناس

بعد أن علمنا أحوالهم مع حال الصنف الأول
 الأشقياء، علمنا أن هؤلاء الأصناف الثلاثة الأخيرة هم
 أهل اليمين، وهم المقتصدون والأبرار والمقربون، أما
 الظالم لنفسه فليس من أصحاب اليمين عند الإطلاق
 وإن كان مآله إلى أصحاب اليمين، السابقون المقربون
 السابقون بالخيرات هم أفضل الخلق وأزكاهم،
 ونحن نستغفر الله **عَزَّجَلَّ** من وصف حالهم، ولكن
 محبة القوم تحمل على ما تعرف منزلتهم والعلم
 بها، عسى أن يوفقنا الله **عَزَّجَلَّ** أن نشمر النفس للاقتداء
 بهم، والاتصاف بصفاتهم السابقون المقربون جملة
 أمرهم أنهم قوم امتلأت قلوبهم من معرفة الله، غمرت
 قلوبهم محبة الله وخشيته ومراقبته وإجلاله، صارت
 رغبتهم إليه وتوكلهم عليه ورغبتهم منه رهبتهم
 منه وإنابتهم إليه وسكونهم إليه، وانكسارهم بين
 يديه، لم يتعلقوا بشيء من ذلك بغيره سبحانه **عَزَّجَلَّ**،

علمنا أحوال هؤلاء الأصناف الأربعة في هذه الدنيا،
وعلمنا أيضا مصيرهم في الآخرة، لعلنا أن نجتهد أن
نكون من الصنف الرابع.

نختم الكتابة بحديث قدسي رواه الإمام مسلم في
صحيحه: « يقول الله عزَّ وجلَّ: يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا
مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ
إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ
عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي،
إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي
فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ
أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أُنْقَىٰ قَلْبِ
رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي،
لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ
قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَّصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا،

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَأَنْسَكُمْ وَجَنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» ((٢)).

نسأل الله **عَزَّجَلَّ** وإياكم الثبات على الإسلام وعلى السنة، نسأله **عَزَّجَلَّ** وإياكم العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، نسأله **عَزَّجَلَّ** حسن الخاتمة، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم احفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء وفتنة، اللهم وفق ولاة أمورنا لما تحبه وترضاه اللهم ارزقهم البطانة الصالحة.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(٢) رواه مسلم (٢٥٧٧).

حقوق الطبع محفوظة

سلسلة كتب شبكة بينونة

الحق في الدنيا



الشيخ العلامة محمد بن عبد الله الزويحي

www.baynoona.net

لمزيد من الكتيبات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط أدناه:

<https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat>

